باب الجغرافيا:

1-دور الجغرافيا في توجية ديانات الشعوب

بقلم كل من الباحثين: ا.د.محمدعباس حسن العبيدي

و ا.د.عبدالكريم رشيدعبداللطيف

جامعة سامراء/ العراق

الملخص:

الجغرافية علم طبيعي مهم وله دور كبير في رسم تفاصيل حياة الانسان على سطح الكرة الأرضية، ذلك لانها وكما تفسر من قبل الكثير من الجغرافيين والمهتمين في هذا المجال العلمي المهم حلقة الوصل الذي بين المظاهر الجغرافية الطبيعية مثل المناخ وعناصرة والسطح ومظاهرة والموارد المائية مع الانسان او الانشطة البشرية المختلقة .

لذا فإن للجغرافية واضح الاثر على الانسان نفسة شكلا وحجما ويتضح هذا من خلال ملاحظة تباين سكان المعمورة وحسب القارات الارضية المختلفة فهنالك الجنس الاسود الافريقي او الاصفر الاسيوي والابيض الاوروبي وغيرها، ولها دور كبير في جوانب حياة الشعوب البشرية المختلفة بما فيها الجانب الديني موضوع البحث الذي سيتناول دور العامل الجغرافي مثل المناخ وعناصره في ظهور ديانة او معتقد ونوعه او سمته في مكان او اقليم معين على حساب مكان اخر .

وسيتم تقسيم البحث الى عدة محاور اهمها:

- مقدمة عن الجغرافية وعلاقتها بالدين .

وسيتم تحت هذا المحور تناول الجغرافية وظواهرها البشرية والطبيعية، واثرها على الدين وكيف قاوم الانسان هذة القوى الطبيعية او عمل على استرضائها لخدمته في حياته اليومية.

- اثر الجغرافية في ديانة الحضارتين العراقية والمصرية .

وهنا وتحت هذا العنوان سيوضح الدور الجغرافي الذي وجه نظر الانسان في هذه الاماكن صوب الافلاك والكواكب والنجوم والرياح وتأليهها بعد طول مراقبة لها ترقبا لسقوط الامطار لاستخدامه في الري والزراعة.

-اثر الجغرافية في ديانة الحضارتين الهندية والصينية.

من خلال هذا العنوان سنتعرف على دور العامل الجغرافي في تحويل نظر المستوطن من السماء الى الارض بعد اعطته السماء حاجته من الماء بسبب غزارة الامطار واتجه نحو الارض والاشجار والحيوان والانسان. .

-موجز عن اثر الجغرافية في الدين الاسلامي.

وسيختم البحث بالاشارة الى دور العامل الجغرافي في اداء او اقامة بعض فروض الدين الاسلامي واختلافاتها من اقليم الى اخر حيث تكون شاقة وصعبة في مكان وهينة وميسرة في مكان آخر وحسب نوع المناخ او طبيعة السطح.

المقدمة:

يعنى علم الجغرافيا بدراسة وتحليل الظواهر الطبيعية والبشرية المختلفة، فهو يتناول كافة العناصر المادية للطبيعة كالمناخ والأرض، ويبحث في تأثير التفاعلات الجارية بين هذه العناصر بعضها ببعض، أو ذلك الناتج عن الأنشطة البشرية، كما يتطرق إلى القضايا الخاصة بالنوع البشري فيدرس المواقع التي تسكنها المجتمعات الإنسانية والتغيرات الحاصلة فيها مكانياً وزمانياً. لذا تبرز اهمية البحث من خلال ابراز دور العامل الجغرافي المتمثل بالموقع الجغرافي او الفلكي او المناخ وغيرها في توجية نظر المستوطن الى بعض الظواهر الفلكية وتاليهها او تاليه الحجارة وغيرها من المظاهر المختلفة .فمن المعلوم ان اتجاه الانظار في الحضارات الشرقيه القديمة مثل الحضارة العراقية او الحضارة المصرية نحو النجوم والكواكب السيارة الاخرى وتاليهها لم يكن من غير دافع معين, ولم يكن اعتباطيا بل بسبب الجفاف والمناخ الصحراوي الذي كان يسيطر ولا يزال على تلك الاقاليم مما وجه انظار السكان الى السماء لمتابعة النجوم والافلاك وتقلبات الجو والمناخ لملاحظة او توقع اوقات سقوط الامطار لتهيئة الارض للزراعة و تخزين المياة للشرب, بينما نجد العكس في الحضارتين الهندية والصينية اللتين اتخذتا من الحجارة آلهة لها بسبب عامل الرطوبة الذي كان ولا زال يسيطر على مناخ تلك الاقاليم والجهات الارضية بسبب غزارة الامطار وارتفاع كميات التساقط بكل انواعة فضلا عن توفر المياة السطحية ممثلة بالانهار الممتدة في تلك الجهات لهذا لم يكن الانسان بحاجة الى مراقبة الافلاك والنجوم او متابعة التقلبات الجوية المختلفة .

ينظر علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى الدين على أنه مجموعة من الأفكار المجردة، والقيم أو التجارب القادمة من رحم الثقافة. على سبيل المثال، وبطبيعة المبدأ، جوهر الدين لا يشير إلى الاعتقاد في «الله» أو أنه متعال بل ان مطلق جوهره يعرف بأنه «بنية أو ثقافة مباشرة أو بنية لغوية للحياة بشكل كامل، والاعتقاد بأنه، مثل لغة، يسمح بوصف الواقع، وصياغة واختبار المعتقدات والمشاعر والأحاسيس الحميمة .وبموجب هذا التعريف، الدين هو رؤية لا غنى عنها في العالم تحكم الأفكار الشخصية والأعمال.

لذا ستكون المشكلة التي سيحاول البحث الكشف او الاجابة عنها هي:

هل للعامل الجغرافي دور في ظهور الديانات في الشعوب القديمة ؟

اما فرضية الدراسة فانها ستدور حول الاجابة عن ذلك التساؤل كما يلي:

للجغرافية دور فعال في ظهور او تحديد نوع او سمة او ماهية الالهة .

اما لناحية منهجية الكتابة فيعد المنهج النظامي هو المنهج الامثل لتركيز البحث على الجوانب الجغرافية الطبيعية التي لعبت دورا كبيرا في هذا المجال مستبعدا الجوانب البشرية لضعف دورها في توجية او تحديد معالم او سمات او نوع الالهة .

وسيتم اعتماد المنهج الاستنباطي للوصول الى الحقائق من خلال الوقوف على الروابط والعلاقات التي كانت قائمه بين الانسان او المستوطن والظواهر الطبيعية ممثلة بالمناخ والافلاك والمظاهر السطحية والكونية في تلك الفترة.

مقدمة عن الجغرافية وعلاقتها بالدين

الدين هو نظام اجتماعي–ثقافي من السلوكيات والممارسات المعينة، والأخلاق، والنظرات العالمية، والنصوص، والأماكن المقدسة، أو النبوات، أو المنظمات، التي تربط الإنسانية بالعناصر الخارقة

للطبيعة، أو المتعالية، أو الروحانية. ومع ذلك، لا يوجد إجماع علمي حول التعريف الدقيق للدين. الدِين أو الدِيانة من دان خضع وذل ودان بكذا فهي ديانة وهو دين، وتديّن به فهو متديّن، إذا أطلق يراد به: ما يتديّن به البشر، ويدين به من اعتقاد وسلوك؛ بمعنى آخر، هو طاعة المرء والتزامه لما يعتنقه من فكر ومبادئ. أما الدين من الناحية اللغوية في اللغة العربية: فهو العادة والشأن. والتدين: الخضوع والاستعباد، ينبني على الدين المكافأة والجزاء، أي يجازى الإنسان بفعله وبحسب ما عمل عن طريق الحساب. ومنه صفة الديّان التي يطلقها الناس على خالقهم؛ وجمع كلمة دين: أديان. فيقال: دانَ بديانة وتدين بها، فهو متديّن، والتديّن: إذا وكل الإنسان أموره إلى دينه.

وتعاونت عدة عوامل على خلق العقيدة الدينية، فمنها الخوف من الموت، ومنه كذلك الدهشة لما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة أو الأحداث التي ليس في مقدور الإنسان فهمها، ومنها الأمل في معونة الآلهة والشكر على ما يصيب الإنسان من حظ سعيد، وكان أهم ما تعلقت به دهشتهم وما استوقف أنظارهم بسره العجيب هما الجنس والأحلام، ثم الأثر الغريب الذي تحدثه أجرام السماء في الأرض والإنسان؛ لقد بهت الإنسان البدائي لهذه الأعاجيب التي يراها في نومه، وفزع فزعا شديداً حين شهد في رؤاه أشخاص أولئك الذين يعلم عنهم علم اليقين أنهم فارقوا الحياة؛ لقد دفن موتاه بيديه ليحول دون عودتهم؟ لقد دفن مع الموتى ألوان الطعام وسائر الحاجات حتى لا يعود الميت من جديد فيصبّ عليه لعنته، بل كان أحيانا يترك للميت الدار التي جاءه فيها الموت، وينتقل هو إلى دار أخرى، وفي بعض البلدان كان الإنسان البدائي يُخرج الجثة من الدار خلال ثقب في الحائط، لا من بابها، ثم يدور بها حول الدار ثلاث دورات سريعة، لكي تنسى الروح أين المدخل إلى تلك الدار فلا تعاودها أبدا. مثل هذه الأحداث التي كانت تصادف الإنسان البدائي في حياته، أقنعته بأن كل كائن حي له نفَس أو حياة دفينة في جوفه، يمكن انفصالها عن الجسد إبان المرض والنوم والموت؛ جاء في كتاب من كتب «بوبانشاد» في الهند القديمة: «لا يوقظنَّ أحد نائماً إيقاظاً مفاجئاً عنيفاً؛ لأنه من أصعب الأمور علاجا أن تضل الروح فلا تعرف طريقها إلى جسدها» وليست الروح[360].

وثمة تفسير آخر هو ما يمكن أن نطلق عليه التفسير النفسي (السيكولوجي) لنشأة الدين يقدمه كل من فرويد ويونج من علماء النفس المحدثين؛ إذ يرى فرويد أن الدين ينبع من عجز الإنسان عن مواجهة قوى الطبيعة في الخارج والقوى الغريزية داخل نفسه، وينشأ الدين كما يضيف فرويد في كتابه «مستقبل وهم» في مرحلة مبكرة من التطور الإنساني عندما لم يكن الإنسان يستطيع أن يستخدم عقله في التصدي لهذه القوى الخارجية والداخلية، وكان الدين في رأى فرويد تكرارا لتجربة الطفل حيث يتعامل الإنسان مع القوى المهددة له بنفس الطريقة التي تعلم بها وهو طفل، وعلى هذا اعتبر فرويد أن الدين وهم، بل وخطر لأنه يميل إلى تقديس مؤسسات إنسانية سيئة تحالف معها على مر التاريخ. ويعتقد فرويد أن الدين يستمد فاعليته من الانفعالات الداخلية المتولدة من حالة الكبت الجنسي في مرحلة الطفولة فيما يطلق عليه فرويد «عقدة أوديب»؛ فالاعتقاد بالله يعكس ميولا ورغبات كامنة في اللاشعور تظهر على شكل حاجة إلى أب سماوي يملك قدرة، كبيرة لحماية الإنسان، كما كان الطفل يشعر بالحاجة للأب لحمايته في مرحلة الطفولة. وعلى هذا الأساس فالدين يمثل حالة نفسانية ناشئة عند الإنسان من أوهام وآمال ورغبات نفسية في أعماق وجوده[361].

الجغرافية علم طبيعي مهم وله اثر فعال في رسم تفاصيل حياة الانسان على سطح الكرة الأرضية،

---

(360) ويليام جيمس ديورَانت,قصة الحضارة,تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر,ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين,دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس, 1988 م, ص100.

(361) مصطفي النشار,مفهوم الدين وتصنيف الاديان بين التحليل النفسي والرؤى الفلسفية,مجلةالعقيد,العدد 15,شهر جمادى الثانية ,2018م ,ص7

ذلك لان الجغرافية وكما تفسر من قبل الكثير من الجغرافيين والمهتمين في هذا المجال العلمي المهم هي الجسر الذي يربط المظاهر الجغرافية الطبيعية مثل المناخ وعناصرة والسطح ومظاهرة والموارد المائية مع الانسان او الانشطة البشرية المختلفة .

لذا فإن للجغرافية دور كبير في حياة المجتمعات البشرية المختلفة بما فيها الدين موضوع البحث فنرى هذا التاثير واضح على شكل الانسان نفسة وحجمه من حيث شكل الشعر ولونه وشكل الجمجمة وحجمها وشكل الوجه والانف والشفاه وغيرها من التفاصيل الخلقية التي يتميز بها الانسان من مكان الى اخر وبحسب الموقع الجغرافي ,سواء كان من جانب دوائر العرض او حسب البيئة الجغرافية التي يسكنها السكان سواءكانت بحرية ام قارية او سهلية ام جبلية. وقد اقر ذلك انصار الحتم البيئي من خلال قولهم بان سكان البيئات الجبلية تكون ارجلهم أقوى من اياديهم لاعتمادهم عليها في الحركة بين المرتفعات صعودا ونزولا,بينما يتميز سكان المناطق البحرية بقوة عضلات الذراع وذلك لاعتمادة على اليدين في السباحة وممارسة حياتة اليومية والتنقل عبر هذة البيئة الجغرافية .

وكما تختلف التربة والموارد الغذائية من مكان الى اخر وكذلك اختلفت اللغات والثقافات والحضارات والعلوم وغيرها من الموروثات البشرية فقد اختلفت الاديان والمعتقدات البشرية للمجتمعات وخاصة القديمة منها، ويرجع ذلك وحسب الادلة المبينة الى موقع تلك المجموعة البشرية من الكرة الارضية سوا كانت قارية ام بحرية اي مطيرة ام جافة.

اثر الجغرافية في ديانة الحضارتين العراقية والمصرية

تعد حضارة العراق السومرية أولى الحضارات البشرية الأصيلة وهي أساس لجميع حضارات العراق القديم فيما بعد, نشأت الأصول الأولى للحضارة السومرية في وادي الرافدين حيث يطلق عليها حضارة ما قبل السلالات أو فجر السلالات، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنّ حضارة العراق السومرية لم تقتصر على جنوب العراق فحسب, فقد عُثر على آثار هذه الحضارة في شمال العراق أيضاً, إذ وجدت بعض الأدوات الحجرية التي صنعت بطريقة التشظية أي إنها أدوات من الشظايا من بينها أدوات ذات حدّين وفؤوس حجرية يدوية مصنوعة على هيئة القلب وبعضها لوزية الشكل(362).

كان الدين في العراق القديم تمامًا كما كان في مصر، من حيث خضوعه للتأثيرات السياسية بالمقام الأول، وكان يمثل درجة عالية من التعليمات والالتزامات الأخلاقية، وكان له عند العراقيين والمصريين على حد سواء المكان الأول في حياتهم العامة والخاصة. كما كان للعامل الجغرافي والاجتماعي تأثيرهما مثل بداية الديانة المصرية والإغريقية، إذ كان لكل مقاطعة من المقاطعات العراقية آلهة تحرسها، ولكل إله اسم خاص في كل مقاطعة من تلك المقاطعات، ففي مدينة أريدو كان الإله الأعلى يُسمى «أيا– أو– أنكي»، وفي نيبور «أنليل أو– بعل»، وفي أور «سن»، وفي لكش «نين جيرسوا». الآلهة في بابل ترجع من جهة أصلها إلى قوى الطبيعية، كمثيلاتها عند المصريين، حيث اختار العراقيون أهم الظواهر الطبيعية التي كان لها أثر قوي في حياتهم، وشخصوها على هيئة آلهة الدين في العراق القديم، وبذلك فإن معتقد الألوهية كان عندهم يخضع للتفريد وليس التوحيد، فكانوا يفضلون إلها عن الآخرين، دون تركهم، حيث كانت مكانة آلهتهم متفاوتة، تبعًا لتفاوت المقاطعات السياسية ولسيطرة بعض المقاطعات على الأخرى نتيجة الحروب التي كانت تدور بينها وبالتالي ترتفع مكانة إله المقاطعة المنتصرة.

افترض السومريون لكل ظاهرة طبيعية ربًّا أو ربة، وافترضوا لأربابهم صورًا بشرية مضخمة وحياة تماثلها حياة البشر، تزاوجوا فيها وتناسلوا، وتحابوا وتخاصموا، لولا أنها كانت حياة سرمدية ذات مقدرة

(362) طه باقر, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ط1, دار دجلة, بغداد, 2009, ص187

مطلقة. واستقرت لأربابهم الكبار عبادات رئيسية في مدن بعينها. فاستقر أكبر مراكز عبادة آن في مدينة أوروك حيث عرف معبده فيها باسم «أي – أنا»، وقد أطلق اسمه على حي بأكمله. واستقر أكبر مراكز عبادة إنليل في مدينة نيبور «نفر» وسُمي معبده فيها «إكور» ربما بمعنى البيت الجبلي.

غير أن ذلك لم يحل دون انتشار عبادة مثل هذين الربين مع غيرهما من الأرباب في معابد صغرى بمدن أخرى كثيرة، وهنا قد يلقب المعبود بلقب جديد، أو ينسب إلى الحي الذي يوجد معبده فيه، على نحو ما لقب إينورتا. أحد أرباب الأعاصير والسحب المسطرة ورعاة الحرب، وابن إنليل في مدينة لجش، لقب بلقب «نين جيرسو» أي سيد جيرسو، وكانت جيرسو هذه ضاحية مقدسة تجاور لجش «وسمي معبده فيها إنينو».

وعلى نحو ما تصور السومريون لمظاهر الطبيعة أربابًا عديدين فقد أطلقوا على كل منهم صفة «دنجر» بمعنى إله، تخيلوا لوجوه حضارتهم أربابًا ابتدعوها ورعوا أصحابها، مثل «نابو» رب الكتابة. وردوا إلى أولئك الأرباب فضل إنشاء مدنهم وتنظيمها ووضع شرائعها ثم جمعوا إلى هؤلاء وهؤلاء أربابًا صغارًا يشبهون الأولياء والقديسين، اتخذهم الأفراد رعاة شخصيين وحماة وشفعاء لهم لدى الأرباب الكبار الذين تخيلوهم بعيدين عن مستوى دنياهم، بعيدين عن آفاق عقولهم ولم يكن أحدهم يجد بأسًا من أن يعتبر معبوده الخاص «أو معبود أسرته» «راعيه الموكل به» و»ربه وأباه المقدس الذية أنجبه»[363].

تحتل مصر الركن الشمالي الشرقي لأفريقيا وتشغل الحوض الأدنى لنهر النيل، وهي عمومًا عبارة عن وادٍ منبسط تحف به الصحارى من الجانبين: الشرقي والغربي, ولولا وجود النهر ``1لأصبحت هي الأخرى جزءًا من الصحارى المحيطة بها؛ ولذا وصفها هيرودوت بعبارته الشهيرة: «مصر هبة النيل». وقد هيأت ظروفها الطبيعية للجماعات التي استقرت بها فرصة للنهوض والرقي؛ ففي الشمال يوجد البحر المتوسط الذي لم يكن من اليسير عبوره إلا بعد أن تمكن الإنسان من ركوب البحر إلى مسافات بعيدة، وفي الشرق والغرب صحارى واسعة يصعب اجتيازها، وفي الجنوب توجد منطقة صحراوية صخرية تعد من أجدب بقاع العالم, وتعترض النهر فيها جنادل وصخور تجعل الملاحة فيه متعذرة غير يسيرة، وهكذا كفلت البيئة المصرية الأمن والهدوء لأهلها[364].

أخذت الديانة المصرية حين نشأتها وفي مراحل طويلة من تاريخها بتعدد المعبودات شأنها في ذلك شأن مثيلاتها من الديانات الوضعية القديمة. ولكنها ظلت أغنى من غيرها في وفرة نصوصها، ووضوح قضاياها، وثباتها على مبادئها، ثم رقي تطوراتها التي انتقلت فيها من عقائد التعدد إلى صور مختلفة من أفكار التوحيد.

ورد المصريون الأوائل كل ظاهرة حسية تأثرت دنياهم بها إلى قدرة علوية أو علة خفية تحركها وتتحكم فيها وتستحق التقديس من أجلها، الأمر الذي أفضى إلى تعدد ما قدسوه من العلل والقوى الربانية المتكلفة بالرياح والأمطار وظواهر السماء، وبجريان النيل وتعاقب الفيضانات، وتجدد خصوبة الأرض ونمو النبات، وخصائص الخصب النوعي في الإنسان والحيوان، بل والمتسببة فيما اتصفت به كل بيئة محلية في أرضهم من صفات، والمقدرة لما تميزت به حضارتهم في مجملها من خصائص سمت بها عن بقية الحضارات، كمزايا التبكير بالكتابة والحساب والحكمة والفنون وما يشبهها من آيات أكبروها فردوا خلقها ورعايتها إلى قدرات علوية سامية فاقت قدرات البشر .وربط المتدينون بين تصوراتهم

(363) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق,عبد العزيز صالح, مكتبة دار الزمان, ص393–392.

(364) محمد أبو المحاسن عصفور ,معالم تاريخ الشرق الأدني القديم, دار النهضة العربية –بيروت– لبنان, ص50.

العقائدية الذهنية وبين علامات كثيرة من عالم الواقع والمحسوسات، فرمزوا إلى كل قوة عليا وعلة خفية تخيلوها برمز حسي يعبر عن سر من أسرارها ويحمل صفة من صفاتها، والتمسوا أغلب رموزهم هذه فيما عمر بيئتهم من حيوانات وطيور وأشجار وزواحف، لاحظوا أنه يتأتى عن بعضها كثير من الخير ويتأتى عن بعضها كثير من الشر، ويظهر أثر البعض منها في جهات بعينها وفي ظروف بعينها أكثر مما يظهر أثر بعضها الآخر، وهو الأمر الذي لم يكن يخلو من إعجاز كبير في نطاق تصوراتهم القديمة التي كانت في عصورها الأولى لا تزال قليلة التجارب محدودة الآفاق. وبوحي هذه التصورات رمزوا بحيوية الكبش الطلوق إلى بعض أرباب الإخصاب الطبيعي والنوعي، ورمزوا بقوة الفحل إلى شيء من ذلك وإلى قوة البأس في مجملها. ورمزوا بنفع البقرة ووداعتها إلى حنو السماء وأمومتها، ورمزوا بقسوة السباع واللبوءات إلى أرباب الحرب ورباتها، ورمزوا بفراسة القرد واتزان طائر أبي منجل إلى إله الحكمة. ورمزوا بالحيات والضفادع إلى أرباب الأزل، ورمزوا بخصائص الصقر إلى رب الضياء وحامي الملكية.

ويتضح هنا اثر عامل المناخ الجاف في هذه الاقاليم ودورها في تحويل انظار المستوطن الى السماء راجيا منها اغاثته بالامطار بعد ان اجدبت الارض وقلت المياه فيها بسبب عامل الجفاف وارتفاع درجات الحرارة فضلا عن قلة المياة السطحية وخاصة في المناطق البعيدة عن الانهار والمسطحات المائية مما دفع الناس في هذه الجهات الى تاليه هذه القوى الطبيعية محاولا استرضاءها لكي تمده بالمياه للاستفادة منها بالشرب او ري المحاصيل الزراعية انذاك.

اثر الجغرافية في ديانة الحضارتين الهندية والصينية

الهنود فرق كثيرة، قال الشهرستاني: ومن فرقهم الباسوية الذين زعموا أن لهم رسولاً ملكاً روحانياً، نزل بصورة البشر، فأمرهم بتعظيم النار والتقرب إليها بالطيب والذبائح، ونهاهم عن القتل والذبح لغير النار، وسن لهم أن يتوشحوا بخيط، يعقدونه من مناكبهم الأيامن إلى تحت شمائلهم، وأباح لهم الزناء، وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها، ويتضرعون في التوبة إلى التمسيح بها.

قال ومنهم اليهودية ومن مذهبهم أن لا يعافوا شيئاً، لأن الأشياء جميعها صنع الخالق، ويتقلدون بعظام الناس، ويمسحون رؤوسهم وأجسادهم بالرماد، ويحرمون الذبائح والنكاح، وجمع الأموال، ومنهم عبدة الشمس وعبدة القمر، ومنهم عبدة الأصنام، وهم معظمهم. ولهم أصنام عدّة، كل صنم لطائفة، ويكون لذلك الصنم شكل غير شكل الصنم الآخر، مثل أن يكون أحدها بأيد كثيرة، أو على شكل امرأة ومعه حيات، ونحو ذلك.

ومنهم عبّاد الماء ويقال لهم الجلهكينية، ويزعمون أن الماء ملك، وهو أصل كل شيء، وإذا أراد الرجل عبادة الماء تجرد وستر عورته، ثم دخل الماء حتى يصل إلى وسطه، فيقيم فيه ساعتين أو أكثر، ويأخذ مهما أمكنه من الرياحين فيقطعها صغاراً ويلقيها في الماء وهو يسبح، ويقرأ، وإذا أراد الانصراف، حرّك الماء بيده ثم أخذ منه، فنقّط على رأسه ووجهه، ثم يسجد وينصرف.

ومنهم عباد النار ويقال لهم الإكنواطرية، وصورة عبادتهم لها أن يحفروا في الأرض أخدوداً مربعاً ويؤججوا النار فيه، ثم لا يدعون طعاماً لذيذاً ولا شراباً لطيفاً ولا ثوباً فاخراً ولا عطراً فائحاً ولا جوهراً نفيساً إلا طرحوه في تلك النار، تقرّباً إليها. وحرموا إلقاء النفوس فيها، خلافاً لطائفة أخرى.

ومنهم البراهمة أصحاب الفكرة وهم أهل العلم بالفلك والنجوم، ولهم طريقة في أحكام النجوم تخالف طريقة منجمي الروم، والعجم، وذلك أن أكثر أحكامهم باتصالات الثوابت، دون السيارات، وإنما سموا أصحاب الفكرة لأنهم يعظمون أمر الفكرة، ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول،

ويجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الفكر عن المحسوسات، فإذا تجرد الفكر عن هذا العالم، تجلى له ذلك العالم، فربما يخبر عن المغيبات، وربما يوقع الوهم على حي فيقتله، وإنما يصرفون الفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة المجهدة، وبتغميض أعينهم أياماً، والبراهمة لا يقولون بالنبوات وينفونها بالكلية.

قال: ويلي مملكة المانكير، مملكة القنوح وهي مملكة بلادها الجبال، وهي منقطعة عن البحر، وكل من ملكها يسمى نوده، ولأهل هذه المملكة أصنام يتوارثون عبادتها، ويزعمون أن لها نحو مائتي ألف سنة.

قال ويجاور هذه المملكة مملكة قمار وهي التي ينسب إليها العود القماري، وهي على البحر، وأهل هذه المملكة يرون تحريم الزناء من بين أهل الهند، قال ابن سعيد ورواه عن المسعودي أن الذي يملكها يسمى زهم، قال ويحاربه من جهة البحر ملك الجزر المعروف بالمهراج.

قال وآخر ممالك الهند من جهة الشرق مملكة بنارس وهي تلي بلاد الصين، وهي مملكة طويلة، وعرضها نحو عشرة أيام، وجزائر بحر الهند في نهاية الكثرة، وهي في البحر قبالة هذه الممالك [365].

الظاهر أن أقدم ديانة نعرفها عن الهند، تلك الديانة التي وجدها الغزاة الآريون بين « الناجا « والتي لا تزال قائمة في الأجناس البشرية البدائية التي تراها هنا وهناك في ثنايا شبه جزيرة العظيمة، هي عبادة روحانية طموطمية لأرواح كثيرة تسكن الصخور والحيوان والأشجار ومجاري الماء والجبال والنجوم، وكانت الثعابين والأفاعي مقدسات– إذ كانت آلهة تعبد ومثلا عليا تنشد في قواها الجنسية العارمة، كذلك شجرة «بوذي» المقدسة في عهد بوذا كانت تمثل تقديسهم لجلال الأشجار الصامت، وهو تقديس صوفي لكنه سليم: وهناك من آلهة الهنود الأولين ما هبط مع الزمن إلى هنود العصور التاريخية، مثل «ناجا» الإله الأفعوان، و «هاتومان» الإله القرد، و «ناندس» الثور المقدس، و «الياكشا» أو الآلهة من الأشجار؛ ولما كان بعض هذه الأرواح طيبا وبعضها خبيثا، فلا يستطيع حفظ الجسم من دخول الشياطين فيه وتعذيبه في حالات المرض أو الجنون، تلك الشياطين التي تملأ الهواء، إلا مهارة عظيمة في أمور السحر، ومن ثم نشأت مجموعة الرقى في «فيدا أثارفا» أي «سفر الإلمام بالسحر»، فلا بد للإنسان من صيغ سحرية يتلوها إذا أراد الأبناء أو أراد اجتناب الإجهاض، أو إطالة العمر، أو دفع الشر، أو جلب النعاس، أو إيقاع الأذى أو الارتباك بالأعداء[366].

اما البوذية فانتشرت أفكارها وأدبها وفنها في سيلان وشبه جزيرة الملايو في الجنوب، وفي التبت وتركستان في الشمال، وفي بورما وسيام وكمبوديا والصين وكوريا واليابان في الشرق؛ وعلى هذا النحو امتصت كل هذه الأصقاع– ماعدا الشرق الأقصى– ما استطاعت امتصاصه وهضمه من المدنية؛ بنفس الطريقة التي امتصت بها أوربا وروسيا الحضارة من الرهبان الرومانيين والبيزنطيين في العصور الوسطى؛ فمعظم هذه الأمم قد بلغ ذروة ثقافته بحافز من البوذية؛ ولقد لبثت «أنورا ذابورا» في سيلان من منذ عهد أشوكا حتى انحلال البوذية في القرن التاسع، إحدى المدن الكبرى في العالم الشرقي، وظل الناس هناك ألفي عام يعبدون شجرة التين المقدسة عند البوذيين، وكان المعبد القائم على قمة جبال كاندي كعبة يحج إليها مائة وخمسون مليونا من البوذيين في آسيا[367]

كانت النزعة المسيطرة على كنفوشيوس هي تطبيق مبادئ الفلسفة على السلوك وعلى الحكم فقد كان يتجنب البحث فيما وراء الطبيعة، ويحاول أن يصرف عقول أتباعه عن كل الأمور الغامضة أو

(365) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل , المختصر في أخبار البشر,ط1,ج1,المطبعة الحسينية المصرية,ص95–93
(366) ويليام جيمس ديورَانت,مصدر سابق, ص30
(367) المصدر نفسه , ص201–200

الأمور السماوية. صحيح أن ذكر «السماء» والصلاة كان يرد على لسانه أحيانا، وأنه كان ينصح أتباعه بألا يغفلوا عن الطقوس والمراسم التقليدية في عبادة الأسلاف والقرابين القومية، ولكنه كان إذا وجه إليه سؤال في أمور الدين أجاب إجابة سلبية جعلت شراح آرائه المحدثين يجمعون على أن يضموه إلى طائفة اللا أدريين. فلما أن سأله تزه– كونج، مثلا: «هل لدى الأموات علم بشيء أو هل هم بغير علم؟ « أبى أن يجيب جوابا صريحا. ولما سأله كي –لو، عن «خدمة الأرواح» (أرواح الموتى) أجابه «إذا كنت عاجزا عن خدمة الناس فكيف تستطيع أن تخدم أرواحهم؟ «. وسأله كي– لو: «هل أجرؤ على أن أسألك عن الموت؟ « فأجابه: «إذا كنت لا تعرف الحياة، فكيف يتسنى لك أن تعرف شيئا عن الموت». ولما سأله فارشي عن «ماهية الحكمة» قال له: «إذا حرصت على أداء واجبك نحو الناس، وبعدت كل البعد عن الكائنات الروحية مع احترامك إياها أمكن أن تسمي هذه حكمة»[368].

و بلاد الصين فطويلة عريضةٌ، طولها من المشرق إلى المغرب أكثر من مسيرة شهرين، وعرضها من بحر الصين في الجنوب إلى سد يأجوج ومأجوج في الشمال. وقد قيل: إن عرضها أكثر من طولها، ويشتمل عرضها على الأقاليم السبعة، وأهل الصين أحسن الناس سياسة، وأكثرهم عدلاً، وأحذق الناس في الصناعات، وهم قصار القدود، عظام الرؤوس، وهم أهل مذاهب مختلفة، فمنهم مجوس، وأهل أوثان، وأهل نيران.مدينتهم الكبرى يقال لها جمدان يشقها نهرها الأعظم. وأهل الصين أحذ

خلق الله تعالى بالنقش والتصوير، بحيث يعمل الرجل الصيني بيده ما يعجز عنه أهل الأرض، والصين الأقصى ويقال له صين الصين، هو نهاية العمارة من جهة الشرق، وليس وراءه غير البحر المحيط، ومدينته العظمى يقال لها السيلي[369].

فكما ان الهند أرقى بلاد العلم في الاديان، وعلم ما وراء الطبيعة، فكذلك الصين أرقاها في الفلسفة الانسانية غير الدينية، اذ لا يكاد يوجد في الادب الصيني كله كتاب ذو شأن في علم ما وراء الطبيعة غير تلك الوثيقة العجيبة التي يبدأ بها تاريخ التفكير الصيني المدون، وهي الوثيقة المعروفة بإسم إي– جنج، أو «كتاب التغيرات». وتقول الرواية المأثورة إن هذا الكتاب قد كتبه ون وانج، أحد مؤسسي أسرة جو في سجنه، وان أبسط مبادئه مستمدة من فوشي الذي عاش قبله بزمن طويل. وهم يقولون لنا ان هذا الامبراطور الاسطوري قد اخترع «الجوات» الثماني أو التثاليث الرمزية التي ترى علوم ما وراء الطبيعة عند الصينيين أنها تنطبق على قوانين الطبيعة وعناصرها. وهم يقولون أن كل واحد من هذه التثاليث يتألف من ثلاثة خطوط بعضها متصل ويمثل عنصر الذكورة أو اليانج وبعضها متقطع ويمثل عنصر الأنوثة أو الين.

وكان الصينيون يتخذون كتاب التغيرات كتابا يدرسون فيه طرق التنبؤ بالغيب، ويعدونه أعظم تراثهم الأدبي، ويقولون أن كل من فهم ما فيه من توافيق يدرك جميع القوانين الطبيعية. وقد نشر كنفوشيوس هذا الكتاب بنفسه، وجمله بما علق عليه من الحواشي، وكان يفضله على كل ما عداه من كتب الصينيين، ويتمنى أن يخلو لنفسه خمسين عاما يقضيها في دراسته.

ولا يتفق هذا السفر العجيب مع روح الفلسفة الصينية، وهي الروح الايجابية العملية، وان كان يلائم غموض النفس الصينية ونحن نجد في الصين فلاسفة في أبعد الازمان التي وصل إلينا تاريخها، ولكن كل ما حفظه التاريخ لهم قبل أيام لو– دزه، لا يعدو أن يكون قطعة مبتورة من هنا وهناك، أو مجرد اسم من الاسماء، وقد شهد القرنان السادس والخامس في بلاد الصين، كما شهدا في الهند وفارس

(368) ويليام جيمس ديورَانت,قصة الحضارة,ج4,تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر,ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين,دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس, 1988 م,ص52

(369) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل .مصدر سابق, ص96.

وبلاد اليهود واليونان، عاصفة قوية من العبقرية الفلسفية والأدبية، بدأت كما بدأت في بلاد اليونان بعصر من «الاستنارة» العقلية[370].

لذا فقد كان اتجاة الانسان في حضارتي العراق ومصر نحوالسماء بسبب الجفاف وقلة الامطار لمراقبة الافلاك والاجرام السماوية واتخذوها الهة وعبدوها فقد عبدوا الشمس والقمر والافلاك والنجموم والرياح طمعا ورجاء لسقوط المطار للاستفادة منها للشرب والزراعة وبقية المتطلبات اليومية وخاصة في الجهات البعيدة عن المياة الجارية او الانهار ,بينما اتجهت الانظار في حضارتي الهند والصين نحوالارض فقد اتخذوا من الحيوان والاشجار والانسان الهة وعبدوها بسبب بيئتهم الرطبة الممطرة لانها من المناطق الموسمية الامطار مناخيا فضلا عن توفر الانهار الجارية ومثلوا الهتهم وصنعوها من الحجارة وعبدوها لذا اتجهوا نحو الارض اكثر من السماء .

اثر الجغرافية في الدين الاسلامي

تعد الجغرافيا مقياساً يمكن ان يقاس به ازدهار واضمحلال الامة وذلك ان تطورها او تاخرها يتوافق مع نمو واضمحلال النفوذ السياسي والاحوال الاقتصادية للامة، ونادراً ما يذكر لنا التاريخ امثلة عن ان الجغرافية كما نفهمها في الوقت الحاضر قد تطورت كعلم بمعزل عن تلك الظروف، وذلك ان العرب والرومان والمغول على حد سواء قد شجعوا واهتموا بالجغرافية لاغراض ايجابية سياسية ونادراً ما عمل الباحثون في الجغرافية من اجل تطوير المعرفة في حد ذاتها بما في ذلك المستكشفون في القرن التاسع عشر وانه في العصر الحديث فقط نرى ان هذا العلم قد نما واحتل مكانه مرموقة مع تطور العلوم الاجتماعية والطبيعية[371].

وجاء الاسلام ليشرق بنوره على الارض العربية لتظهر مرحلة جديدة ومؤثرة على الحياة بصفة عامة وعلى الحضارات بصفة خاصة ولتتبلور على السطح حضارة جديدة لعبت على مسرح الجغرافيا اجتماعياً وطبيعياً ومزجتها بالروح والاسلوب تلك هي الحضارة الاسلامية واثر هذا العامل الحاسم لتدخل الجغرافيا في العصور الوسطى مرحلة جديدة وكانت هذه الفترة من ابهى واروع ما انتجته الحضارة على مر العصور التاريخية وامتزجت فيها عوامل البناء الانساني من مادي وروحي وبرزت مع ظهور الاسلام حضارات اتجهت اتجاهاً خاطئاً في معظم الاحيان ودخل الناس في دين الله افواجاً وانظم تحت راية الاسلام امم كثيرة وحضارات متنوعة تنتج عنه بالضرورة اتجاه نحو التفكير باسلوب جديد للحياة وبصفة عامة تفاعلت شعوب الشرق والغرب في بوتقة واحدة وانكب العلماء على الدراسات المتنوعة وظهرت جهود متعددة وكانت الجغرافيا احد هذه الفروع [372].

إنّ الدين الإسلامي جاء ليحرر الناس من رقبة الوثنية وترسيخ عقيدة التوحيد والايمان بالله ونشر التعاليم الاسلامية، والقرآن الكريم فيه كثير من الإعجاز والحقائق العلمية والذي يحث فيه الله (عز وجل) عباده على السير في الأرض وأخذ العبر من الأمم التي سلفت والتطلع الى ما خلقه ربنا تبارك وتعالى وطلب العلم. كذلك حث ربنا تبارك وتعالى على الترحال والتطلع على الأماكن سواء كان لأخذ العبر من الأمم التي سبقت أو زيادة المعرفة لدى الإنسان عن بيئته التي يعيش فيها والتأمل في الكون ومعرفة عظمة الخالق. ولا تجد ديناً من الأديان اهتم بالعلم وحث على طلبه مثل الإسلام وفي ظله ازدهرت سائر أنواع المعرفة بصفة عامة والجغرافية بصفة خاصة، ذلك ان كثيرا من العبادات في

(370) ويليام جيمس ديورَانت,مصدر سابق ,ص28-27

(371) س.م.ضياء الدين علوي، الجغرافية العربية في القرنين الثالث والرابع الهجري، تعريب عبد الله يوسف غنيم، د. طه محمد جاد، سلسلة علمية تصدر عن وحدة البحث والترجمة، الجمعية الجغرافية الكويتية، 1980 .ص11

(372) عبد الله حميد الحقيل، «اهمية دراسة تراثنا الجغرافي، دراسة ميدانية» مجلة الدارة، العدد الاول السنة العاشرة، الرياض، يونيه 1984، ص77

الاسلام ترتبط بتحديد الأوقات مثل الصلاة والصوم التي تتطلب معرفة الاتجاهات الأصلية لتحديد القبلة مما دفع المسلمين إلى ابتكار وتحسين الوسائل والأجهزة المتنوعة اللازمة لذلك، وقد ساعد الحج على تلاقي الشعوب الإسلامية وتبادل المعرفة الجغرافية، وأدت حركة الفتوح الإسلامية وما تطلبه ذلك من إنشاء جهاز البريد ومد شبكة الطرق والمواصلات إلى ظهور كتب عديدة تعالج موضوع المسالك والممالك مثل كتب ابن خرداذبة والاصطخري وابن حوقل [373].

كما استخدم الجغرافيون المسلمون خطوط الطول والعرض لتعيين المواقع الجغرافية للمناطق التي يريدون تحديدها؛ سواء بالنسبة إلى القبلة في مكة، أو أي بقعة أخرى. وقد توصلوا إلى تحديد عرض الأماكن عن طريق قياس ارتفاع النجم القطبي أو الشمس. وقد كان من النتائج المباشرة لجهودهم في تحديد خطوط العرض أن تمكنوا من إنشاء المزاول الشمسية لضبط الزمن.

لعل أشهر الرحلات الجغرافية التي تكاد تطغى على ما سواها من الرحلات الأخرى، سواءً في الشرق أم الغرب، رحلات ابن بطوطة (ت 779هـ،1377 م) وكان الدافع لرحلاته دينياً كذلك وهو أداء فريضة الحج. وقد بدأ هذه الرحلات الثلاث

من مدينة طنجة عام 725 هـ / 1325 م استمرت أولاها نحو 25 عامًا زار ووصف فيها الساحل الشمالي لإفريقيا ومصر والشام والحجاز والعراق وعُمان والبحرين وخراسان وأفغانستان والهند والصين وسومطرة وجزيرة سرنديب (سريلانكا الآن) وعاد إلى فاس عام 750 هـ، 1349 م. أما الرحلة الثانية فقد توجه فيها صوب الشمال نحو بلاد الأندلس وأقام بغرناطة ثم عاد إلى المغرب. وفي الرحلة الثالثة خرج عام 753 هـ، 1353 م إلى وسط إفريقيا فزار الممالك الإسلامية فيها كمملكة مالي وغانا وعاد عام 754 هـ، 1354 م. وقد قام بتدوين مشاهدات ابن بطوطة محمد بن جزي الكلبي بإملاء من ابن بطوطة، وسمّى السّفر الذي كتبه **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**.

لذا فان من اهم اسباب نشوء وازدهار هذا العلم هو الدين الاسلامي نفسه حيث دفعت بعض فروضه الى دراسة الجغرافية، فإن علم الفلك الذي كان يتطلب تعيين خطوط الطول والعرض لكل موضع في الارض كان له اثره العلمي في هذا المجال وإن تجار المسلمين كانوا قد وصلوا الى جزيرة زنجبار (مدغشقر) واقاصي شواطئ افريقا جنوباً وتوغلوا الى روسيا شمالاً ولم تصدهم غرباً الا امواج بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) وكان طبيعي حين يعود التجار الى اوطانهم ان يقصوا الاخبار عما شاهده في اسفارهم فتثير في نفوس الشعب عامة الرغبة الى التعرف على احوال البلدان والشعوب الغربية([374]).

وهكذا لازمت العلمية في الفلك العرب منذ انتشار الدين الاسلامي فقد كانت حاجتهم الدينية الى تعيين الاوقات للصلاة ومعرفة الاهلة (اوائل الشهور القمرية) للصيام والعيدين تقوي تلك النزعة العلمية حتى اشتهر به كثير من علماء المشرق الاسلامي والمغرب على السواء كما اولع به واولاه اهتمامه كثير من خلفاء المسلمين وامرائهم ابتداء من الرشيد الى سلاطين السلاجقة ثم المغول والدولة التيمورية ثم بنيت المراصد في جميع المدن الاسلامية مثل سمر قند وبغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة واصبحت للفلك مدارس مشتهرة[375].

ان معرفة العرب بالفلك قبل العصر العباسي كانت مقتصرة على رصد بعد الكواكب وحركاتها

---

(373)محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي،، ط3، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض،1999.، ص.

(374)محمد رشيد الفيل، اثر التجارة والرحلة في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1979، ص9-8.

(375)بدري محمد فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، بغداد، 1988، ص146-145.

وعلاقاتها بالكسوف والخسوف وكذلك بالطالع والمستقبل وبعض الامور الاخرى التي كانت مرتبطة بحياة الفرد وكذلك علاقتها بالحرب والسلم والظواهر الطبيعية وكانوا يسمون هذا الفن (علم التنجيم) ان اول من عني بالتنجيم ايام الدول العباسية هو الخليفة ابو جعفر المنصور ثم الاخرون واصبح له شأن كبير عندهم بالرغم من ان الدين الاسلامي نهى عنه وبين فساد الاعتقاد به، وكان المنجمون جزءاً من موظفي الدولة لهم رواتبهم وارزاقهم وكان الخلفاء يستشيرونهم بكثير من الامور السياسية والادارية ومعالجة المرضى كما صاروا يتخوفون من الكوكب الغربي ذي الذنب (مذنب هالي)[376].

قائمة المصادر

1 – ويليام جيمس ديورَانت,قصة الحضارة,تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر,ترجمة:الدكتورزكي نجيب محمُود وآخرين,دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس, 1988 م.

2– مصطفي النشار,مفهوم الدين وتصنبف الاديان بين التحليل النفسي والرؤى الفلسفية,مجلةالعقيد,العدد 15,شهر جمادى الثانية ,2018م ,ص7 طه باقر , مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ط1, دار دجلة, بغداد, 2009

3– طه باقر , مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ط1, دار دجلة, بغداد, 2009

4– الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق,عبد العزيز صالح, مكتبة دار الزمان, ص393–392.

5– محمد أبو المحاسن عصفور ,معالم تاريخ الشرق الأدني القديم, دار النهضة العربية ,بيروت,لبنان

6– أبو الفداء عماد الدين إسماعيل , المختصر في أخبار البشر,ط1,ج1,المطبعة الحسينية المصرية.

7– ويليام جيمس ديورَانت,قصة الحضارة,ج4,تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر,ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين,دار الجيل، بيروت, لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس, 1988 م

8– س.م.ضياء الدين علوي، الجغرافية العربية في القرنين الثالث والرابع الهجري، تعريب عبدالله يوسف غنيم، د. طه محمد جاد، سلسلة علمية تصدر عن وحدة البحث والترجمة، الجمعية الجغرافية الكويتية، 1980 .

9– عبد الله حميد الحقيل، «اهمية دراسة تراثنا الجغرافي، دراسة ميدانية» مجلة الدارة، العددالاول السنة العاشرة، الرياض، 1984.

10– محمد رشيد الفيل، اثر التجارة والرحلة في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب، الجمعيةالجغرافية الكويتية، الكويت، 1979.

11– بدري محمد فهد، تاريخ الفكر والعلوم العربية، بغداد، 1988.

12– حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، 1987.

13– محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي،، ط3، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض،1999.

(376) حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، 1987، ص185